

التعليم العالي.. الاتجاه شرقا

By web2

أ.د. داخل حسن جريو - مستشار التعليم التقني - وزارة القوى العاملة :- دأبت البلدان النامية ومنها بلداننا العربية على إرسال آلاف الطلبة للدراسة في جامعات البلدان الأوروبية وبلدان شمال أمريكا، وذلك في إطار جهودها المبذولة لتوفير الكوادر العلمية والتقنية التي تحتاجها لتنفيذ خططها التنموية وتطوير قدراتها العلمية لإثراء المعرفة وإنمائها، وذلك نظراً لما تمتع به الجامعات الأوروبية والأمريكية من تاريخ حافل بالإنجازات العلمية والتقنية في ميادين المعرفة المختلفة، وخبرات تعليمية هائلة تراكت عبر مئات السنين، فضلاً لما تحظى به من دعم مالي كبير لتنفيذ برامجها وخططها العلمية، وحرص شديد على تمييز برامجها الدراسية والبحثية وضمان جودة مخرجاتها.

لم تكن هذه الجامعات حتى وقت قريب تميز بين طلابها تحت أية ذريعة بسبب اللون أو العرق أو الدين أو الانتماء لهذا البد أو ذلك، إنما المهم هو قدرة الطالب على الإبداع والتفوق العلمي والإيفاء بمتطلبات الدراسة وتحمل نفقاتها، إذ امتازت هذه الجامعات بطابعها العالمي المنفتح على كل ثقافات وحضارات العالم.

سعت الجامعات الأوروبية والأمريكية إلى جذب الطلبة النابيين والمتفوقين من مختلف الجنسيات، للانخراط ببرامجها الدراسية، وتوفير البيئة المناسبة التي تتفتح فيها قدراتهم وإبداعاتهم، وإغراء المُجيبين منهم بالبقاء في تلك البلدان بعد تخرجهم. ولا عجب أن نرى آلاف العلماء العاملين في البلدان الأوروبية والأمريكية ممن يشغلون مواقع علمية متقدمة، وبعضهم حائزون على جوائز نوبل، هم من جنسيات مختلفة، وقد اكتسبوا جنسيات البلدان التي درسوا فيها، الأمر الذي حرم بلدانهم الأصلية من الاستفادة من قدراتهم التي هي بأمس الحاجة لها للارتقاء والتطور في مضمار العلوم والتقنية.

استمر الحال على هذا المنوال حتى وقت قريب حيث قامت بعض هذه البلدان بوضع قيود على التحاق طلبة البلدان النامية بعامة والبلدان العربية والإسلامية بخاصة، ببعض التخصصات العلمية التي تلامس حافات العلوم والتقنية المتقدمة، بدعوى الخوف من انتقال تلك المعارف والخبرات إلى منظمات إرهابية، أو الإفادة منها بتطوير قدرات بلدانهم لتهديد ما اصطاحوا تسميته بالأمن الدولي، وهم يقصدون طبعاً مصالحهم الضيقة التي غالباً ما تكون على حساب مصالح الدول النامية المتطلعة لامتلاك ناصية العلم والتقنية وتوظيفها لصالح تنمية وتقدم بلدانها ورفاهية شعوبها، والوقوف على قدم المساواة مع الدول الأخرى.

وإزاء هكذا حال، فإن من الحكمة والمنطق السليم، السعي لتنويع مصادر الحصول على العلوم والمعرفة، وبناء منظومات تعليمية وطنية راقية، بالتنسيق مع كل الدول التي حققت تطوراً علمياً ملموساً في مشارق الأرض ومغاربها، وتوظيف قدرات بلداننا العربية الاقتصادية الهائلة لهذا الغرض، من منطلق تبادل المنافع.

ونظراً لما حققته الكثير من البلدان الآسيوية في الفترة الأخيرة من تقدم هائل في جميع المجالات، ومنها المجالات العلمية والتقنية وميادين المعرفة المختلفة، بسبب جودة نظمها التعليمية وتطور جامعاتها التي باتت تضاهي أرقى الجامعات الأوروبية والأمريكية، وتتقدم على الكثير منها كما تشير الكثير من الدراسات وتقارير المكاتب الدولية المهتمة بتصنيف الجامعات الدولية بحسب قدراتها العلمية وجودة برامجها الدراسية.

لذا فقد حان الوقت الاتجاه شرقاً لتوطيد العلاقات العلمية والثقافية مع تلك الجامعات والإفادة من قدراتها في إطار شراكات علمية حقيقية بين جامعاتنا والجامعات الآسيوية المشهود لها بالكفاءة والتميز، وأن لا يقتصر إرسال الطلبة المبعوثين للدراسة في الجامعات الأوروبية والأمريكية، بل شمول الجامعات الآسيوية بتلك البعثات لما يعود بالمنفعة على جميع الأطراف، وإثراء النظام التعليمي بخبرات وثقافات جديدة تسهم بتطويره، وألا يكون نظاماً تعليمياً أسيراً لنظم تعليمية معينة لا تؤخذ في الاعتبار خصوصيات بلداننا ومصالحها.

ندرج في أدناه أفضل عشر جامعات آسيوية لعام 2009 بحسب تصنيف ملحق جريدة التايمس البريطانية الذي أعتد المعايير الآتية:

1 - نوعية البحوث بنسبة (10%).

2 - توظيف الخريجين بنسبة (10%).

3 - سمعة الجامعة دولياً بنسبة (10%).

4 - نوعية التدريس بنسبة (20%).

جامعة طوكيو البلد اليابان المرتبة آسيويا 1 المرتبة دوليا 17، جامعة هونج كونج البلد هونج كونج المرتبة آسيويا 2 والمرتبة دوليا 18، جامعة كيوتو البلد اليابان المرتبة آسيويا 3 والمرتبة دوليا 25، جامعة سنغافورة الوطنية البلد سنغافورة المرتبة آسيويا 4 والمرتبة دوليا 33، جامعة بكين البلد الصين المرتبة آسيويا 5 والمرتبة دوليا 36، جامعة هونك كونك الصينية البلد هونج كونج المرتبة آسيويا 6 والمرتبة دوليا 38، جامعة شنغهاي البلد الصين المرتبة آسيويا 7 والمرتبة دوليا 40، جامعة اووساكا

البلد اليابان المرتبة آسيويا 8 والمرتبة دوليا 46، جامعة سول البلد كوريا الجنوبية المرتبة آسيويا 9 والمرتبة دوليا 51، جامعة هونج كونج للعلوم والتكنولوجيا البلد هونج كونج المرتبة آسيويا 10 والمرتبة دوليا 53، جامعة نانيانك التكنولوجيا البلد اليابان المرتبة آسيويا 11 والمرتبة دوليا 69، جامعة فيودان البلد الصين المرتبة آسيويا 12 والمرتبة دوليا 85، جامعة معهد طوكيو التقني البلد اليابان المرتبة آسيويا 13 والمرتبة دوليا 90.

يلاحظ من الجدول المبين في أعلاه الآتي:

1- أحرزت (13) جامعة آسيوية مواقع متقدمة ضمن أفضل (100) جامعة في العالم، منها خمس جامعات يابانية، وثلاث جامعات صينية، وثلاث جامعات في هونج كونج وبذلك تكون حصة الجامعات الصينية ست جامعات، وجامعة واحدة لكل من سنغافورة وكوريا الجنوبية.

2- تصدرت جامعة طوكيو الجامعات الآسيوية، تليتها جامعة هونج كونج.

3- حققت جامعة سنغافورة الوطنية نتيجة ممتازة بحصولها على الموقع الرابع، برغم صغر هذه الجمهورية الآسيوية.

4- لم تحرز أية جامعة عربية أو شرق أوسطية أي موقع ضمن مجموعة أفضل (100) جامعة آسيوية، برغم عراقة الكثير من هذه الجامعات.

ويتوقع أن تشتد المنافسة بين الجامعات الآسيوية أكثر في السنين القادمة، ودخول معاهد التقنية الهندية الخمس المشهود بتميزها العلمي والتقني ضمن سلم أفضل الجامعات الآسيوية. وهكذا استطاعت بعض الجامعات الآسيوية برغم حداثة البعض منها أن تعيد بعضا من ألق الشرق العلمي والحضاري الذي أفل قرونا طويلة.

وما زال يحدونا الأمل أن تغذ الجامعات في بلداننا العربية السير بخطى حثيثة للحاق بركب الجامعات الآسيوية المتقدمة، بعد أن توفرت لها جميع مستلزمات الرقي والنهوض، لتعيد أمجاد أمتنا العربية التي نشأت فيها الجامعات لأول مرة في وادي الرافدين ووادي النيل، وذلك بإنشاء جامعة طيبة، وجامعة الإسكندرية حتى الفتح الإسلامي، إذ أنشأت جامعة إنطاكية وجامعة حران في سوريا.

وبعد ازدهار الحضارة العربية الإسلامية أنشأت الجامعة المستنصرية ببغداد في زمن العباسيين وجامعة الأزهر في مصر في زمن الفاطميين.

وتعد جامعة القرويين في مدينة فاس في المغرب إحدى أقدم الجامعات في العالم، إذ يبلغ عمرها أكثر من أحد عشر قرنا. وما التوفيق إلا من عند الله.

Source URL: <http://main.omandaily.om/node/22357>